الفصل الأول

علم المعاني في تفسير أولى ما قيل

الفصل الأول

علم المعاني في تفسير أولى ما قيل

علم المعاني هو تطبيق عملي لفكرة النظم التي شرح بها عبد القاهر الجرجاني إعجاز القرآن الكريم والتي عرَّف النظم فيها بقوله: «اعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشيء منها»[1].

أي: أنَّ النظم عنده هو تأليف الكلام على وفق أبواب النحو المختلفة، وعليه فإنَّ أهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النحوي، وقد عُرفَ (النظم) قبل عبد القاهر، إذ قال عنه الجاحظ قال: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»[2].

وعُرف هذا العلم أيضاً عند سيبويه وابن قتيبة والمبرّد والرماني والباقلاني وغيرهم من العلماء والتي كانت آراؤهم بمثابة الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

ومن خلال نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف،

---

(١) دلائل الإعجاز: ص٦٤.

(٢) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.

والتكرار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحثُ درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان ومفسرنا رشيد الخطيب الموصلي الذي تناول هذه المباحث في تفسيره «أولى ما قيل».

وعلم المعاني فقد عرّفه البلاغيون ومنهم السكاكي بقوله: «اعلم أنَّ علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[1].

أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار...، وغير ذلك ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. و لم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وهذه الأحوال هي الهيئات والكيفيات.

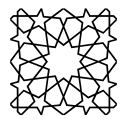

(١) مفتاح العلوم، ص١٦١.

المبحث الأوّل

الخبر والإنشاء

❑ الخبر:

الخبر (لغة): خبرتُ بالأمر أي: أعلمته، وخبرت الأمر أخبرُهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبر –بالتحريك– واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، والخبر: النبأ، وخبرّه بكذا وأخبره: نبأه[1].

والخبر في **الاصطلاح**: تناول العلماء المتقدمون هذا المصطلح البلاغي بالبحث والدراسة، منهم المبرد بقوله: «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب»[2]، وبهذا المعنى قال أكثر العلماء الذين جاؤوا من بعده[3].

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة، فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلا بوصفه إعلاماً للآخرين أما أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»[4].

---

(١) لسان العرب، مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣.

(٣) ينظر: قواعد الشعر، لثعلب، ص٢٥، والبرهان في وجوه البيان ، ص١١٣، والصاحبي ، ص١٧٩، والفروق اللغوية ، ص٣٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣٦١/١.

وأخذ القزويني برأي الجمهور فقال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنَّه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقُهُ مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور عليه التعويل»[1].

❑ أضرب الخبر:

استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبرية خالية من المؤكدات سُميَّ الخبر ابتدائياً، وإذا أُكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبياً، وإن أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكارياً، قال القزويني في بيان أضرب الخبر: «فإن كان -المخاطب- خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغني عن مؤكدات الحكم، كما قال تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام إذ كذبوه في المرة الأولى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾[2]، ويسمى الضرب الأول ابتدائياً أو الثاني طلبياً، والثالث إنكارياً»[3].

وقد نبّه رشيد في تفسيره على بعضٍ من هذه الصور، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤]، فقال: «فيؤكد الخبر بلام

---

(١) الإيضاح، ص١٧، والتلخيص، ص٣٨.

(٢) هذا جزء من قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤-١٦].

(٣) ينظر: الإيضاح، ص٢٣.

الابتداء مع إنَّ المجيء قد وقع؛ إذ إنَّ هذا القول يكون يوم القيامة، وذلك بما كان من جحودهم إياه واستبعادهم لوقوعه واستهزائهم به»[1].

ومنه أيضاً مما قاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، «ومن بلاغة القرآن تأكيد الجملة الثانية باللام دون الأولى؛ لأنَّها في العقاب»[2]. فهذا البيان للمعنى يدل على فهم رشيد الخطيب لهذه الأضرُب.

❑ أغراض الخبر[3]:

للجملة الخبرية غرضان أصليان وضعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما:

فائدة الخبر: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

لازم الفائدة: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة أنَّ المتكلم عالم نحو: أنت جئت: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى الإنكار والطلب والتعظيم...

وهذا مجمل ما ذكره العلماء بخصوص الخبر ومعناه وأغراضه وأنواعه، وبعد هذا العرض لابد من دراسة الخبر في تفسير أولى ما قيل لرشيد الخطيب.

---

(١) أولى ما قيل، ص١٦٣ من المقدمة.

(٢) أولى ما قيل: ١٥٣/٣.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

❑ الخبر في تفسير أولى ما قيل:

بحث المفسرون في القرآن الكريم عن الجملة الخبرية وأبرزوا أغراضها البلاغية في أحيان كثيرة، وكان هدفهم من دراسة الخبر ذكر الألوان البلاغية الكامنة في هذا الأسلوب المتنوع، لإيضاح المعاني القرآنية وإظهار إعجاز أسلوب القرآن الكريم، ومن أغراض الخبر التي ذكرها رشيد الخطيب:

١- الخبر للدعاء:

ومن الآيات التي جاء بها الخبر على سبيل الدعاء قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٧]، قال رشيد: «أي: صرف الله قلوبهم عن الاهتداء، بسبب أنَّهم لا يتدبرون ليفقهوا الحق، فهم لا يستعملون عقولهم في ذلك وهذه الجملة للدعاء والخبر معاً، والمغزى واحد»(١).

وهذا المعنى قال به أكثر المفسرين، قال أبو حيان: «صرف الله قلوبهم صيغته خبر، وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان»(٢).

٢- الخبر للبشارة:

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، قال رشيد الخطيب: «ونكتة إيراد هذا الحكم بلفظ الخبر الإشارة إلى جعله بشارة للمؤمنين الفقهاء الصابرين، بأنَّهم يكونون كذلك فعلاً، بفقههم ونظرهم الصائب كما يفهم

---

(١) أولى ما قيل: ١٧٧/٤.

(٢) البحر المحيط: ١٢٠/٥، وينظر: الكشاف: ٣١٠/٢، والجواهر الحسان: ١٤٩/٢.

ذلك من فحوى التعليل بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾... ومعنى اللفظ الخبري، أن يوجد منكم عشرون صابرون يغلبوا بتأثير إيمانهم وصبرهم مائتين من الذين كفروا المجردين من هذه الصفات الثلاث والآية تشعر بأنَّ العلم مصدر البسالة والقوة المعنوية...»[1].

وذكر أغلب المفسرين أنَّ الخبر بمعنى الوعد[2].

٣- الخبر للتقرير:

ويأتي الخبر للتقرير نحو قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: من الآية ٢٢]، قال رشيد: «أي: لا تجدهم وادِّين أعداء الله ولو كانوا أقرب أقربائهم. والمعنى لا تجتمع موالاتهم الكفار في الدين مع الإيمان إذا كانت موالاة تجر إلى الضرر في الدين، وصاغ العبارة بصورة الخبر الواضح مبالغة في تقريره»[3].

وقال الشنقيطي: «وردت هذه الآية بلفظ الخبر، والمراد بها الإنشاء»[4]، وهذا ما قاله الماوردي[5].

٤- الخبر بمعنى الأمر:

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: من الآية ٤٧]،

---

(١) أولى ما قيل: ١١١/٤.

(٢) ينظر: الكشاف: ١٦٧/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٤٠١/٧، ونظم الدرر: ٣٢٠/٨-٣٢١، والتسهيل: ٦٨/٢، والبحر المحيط: ٥١٦/٤، وأنوار التنزيل: ٣٩٠/١، وتنوير الأذهان: ٦٥١/٢.

(٣) أولى ما قيل: ١٣/٩.

(٤) أضواء البيان، ص١٨٤٩.

(٥) ينظر: النكت والعيون: ٤٩٦/٥.

قال رشيد: «وهذا ضرب من بلاغة الأسلوب والإيجاز لا تجد له مثيلاً في غير القرآن: خاطب أولي الأمر بما لقنَّه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دأباً مستمراً سبع سنين بلا انقطاع. فالكلام خبر بمعنى الأمر. وإنَّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به. والدليل على كونه بمعنى الأمر قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف: من الآية: ٤٧]، أي: فكل ما حصدتم منه في كل زرعة فاتركوه أي: ادخروه في سنبله بطريقة تحفظه من السوس بعدم سريان الرطوبة إليه فيبقى الحب لغذاء الناس والتبن لغذاء البهائم والدواب»[(١)].

وهذا ما ذهب إليه البغوي بقوله: «هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبعَ سنين على عادتكم في الزراعة»[(٢)].

وقال الرازي: «وهو خبر بمعنى الأمر... وإنَّما يخرج الخبر بمعنى الأمر، ويخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في الإيجاب فيجعل كأنَّه وجد لكي يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ وقوله: ﴿دَأَبًا﴾»[(٣)]، وهذا ما ذكره الزمخشري والنسفي والماوردي[(٤)].

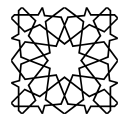

(١) أولى ما قيل: ٥/٣٣.

(٢) معالم التنزيل: ٤/٢٤٧.

(٣) التفسير الكبير: ١٨/١٢٠.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/٤٤٩، ومدارك التنزيل: ٢/١٩٢، والنكت والعيون: ٣/٤٤.

المبحث الثاني

الإنشـــاء

الإنشاء لغةً: هو الابتداء أو الخلق، أو الابتداع[1].

وهو في **الاصطلاح**: الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنَّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[2].

وقد علَّل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنَّه يدل على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء»[3].

وينقسم الإنشاء على قسمين: طلبي وغير طلبي:

الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

غير طلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، والإنشاء غير الطلبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـــ(بعت واشتريت)، والقسم، واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنَّ تلك الأساليب أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

---

(١) لسان العرب، مادة (نشأ).

(٢) ينظر: التعريفات، ص٣٠.

(٣) الإيضاح، ص٨٥، والتلخيص، ص١٥١، والطراز: ٦١/١.

ولنتعرف الآن على أنواع الإنشاء الواردة في تفسير رشيد الخطيب، التي سنتناولها بالدراسة والتحليل، فكلما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل.

❑ أقسام الإنشاء الطلبي:

أولاً: الأمر:

الأمر في البلاغة طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء، وعرَّفه العلوي بقوله: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»[1].

وللأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

٢- المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ويخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف دلالاتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض الواردة في تفسير (أولى ما قيل):

---

(١) الطراز: ٣٨١/٣.

١- الأمر للتهديد والوعيد:

ويأتي الأمر على سبيل التهديد والوعيد كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٨٧]، قال رشيد: «فإن لم يعتبر كفاركم بمعاقبة من قبلهم، فسيرون ما يحل بهم. والأمر بالصبر تهديد ووعيد»[١].

وهذا المعنى ذكره المفسرون ومنهم أبو حيان الذي قال: «ففي قوله فاصبروا قوة التهديد والوعيد هذا ظاهر الكلام وأن المخاطبة بجميع الآية للكفار»[٢] وتبعه الشوكاني[٣]. أما الإمام أبو السعود فذكر أنَّ هذا الأمر بمعنى: «وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين»[٤]، في حين اكتفى الآلوسي في ذكر أنَّ هذا الأمر للوعيد فقط[٥].

٢- الأمر للتكوين:

ويأتي الأمر على سبيل التكوين، وذكره ابن فارس قائلاً: «إنَّه لا يكون إلا من الله ﷻ»[٦]، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، قال رشيد: «إنَّ إيجاد الله سبحانه للأشياء مجرد إرادة عليه لا معالجة فيها ولا نصب فقال: «إنَّما قولنا لشيء إذا

---

(١) أولى ما قيل: ٣٧/٤.

(٢) البحر المحيط: ٣٤٢/٤.

(٣) ينظر: فتح القدير: ٣٢٧/٢.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٣٤٨/٣.

(٥) ينظر: روح المعاني: ١٧٩/٨.

(٦) الصاحبي، ص١٨٥، ومعترك الأقران: ٤٤٢/١.

أردناه أن نقول له كن فيكون» وهذا هو المسمى بالأمر التكويني. والكلام تمثيل لسهولة تأتي المقدورات بأنَّه لا يزيد على تعلق مشيئته تعالى بها، وتصوير لسرعة حدوثها بعد تدرجها في سنن التكوين. وفي الآية إيماء إلى أنَّ الله سبحانه هو الذي يملك سرُّ التكوين، ولا يعلم ذلك السر إلا الله»[1].

٣- الأمر بمعنى الخبر:

ويأتي الأمر بمعنى الخبر ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٨٠].

قال رشيد: «وعدد السبعين في عرف العرب بمعنى الكثرة. فليس المراد به العدد المعين وليس له مفهوم مخالفة، والمعنى مهما تكثر من الاستغفار لهم فلن يستجاب لك فيهم. والأمر هنا بمعنى الخبر»[2].

وهذا المعنى قال به أكثر المفسرين[3]، وذهب ابن عطية إلى معنى التخيير قائلاً: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون لفظه أمر ومعناه الشرط بمعنى: إن استغفرت أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فيكون مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٥٣]، والمعنى الثاني: أن يكون تخييراً كأنَّه قال له: إن شئت فاستغفر وإن شئت لا تستغفر ثم أعلمه أنَّه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة»[4]،

---

(١) أولى ما قيل: ١٣١/٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٧/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١١١/٢، وجامع البيان: ٢٩٣/١٤، وإرشاد العقل السليم: ٨٧/٤، ومدارك التنزيل: ١٠١/٢، والبحر المحيط: ٧٨/٥، وبحر العلوم: ٧٧/٢، واللباب في علوم الكتاب: ١١٤/١٠.

(٤) المحرر الوجيز: ٧٢/٣.

ورجَّح أن هذا هو الصحيح، وتبعه ابن جزي في ذلك[1].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: من الآية ٦]، قال رشيد: «أي: فلترضع له مرضعة أخرى غير أمه، وإنَّما أورد الأمر على صورة الخبر، ليكون فيه تأنيب للأم. والله أعلم»[2].

وقال أبو حيان: «وقيل: فسترضع خبر في معنى الأمر: أي: فلترضع له أخرى»[3]. فالآية عنده ليست أمر في معنى الخبر بل على العكس، وهذا ما ذكره الآلوسي أيضاً[4].

٤- الأمر للتهكم:

ويخرج الأمر لغرض التهكم ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، قال رشيد: «أي: فليتوصل إلى السماء وليقطع المسافة البعيدة، وليعارض نصر الله إن قدر، وليشف غليله... والمعنى مبني على العرف العام وهو أنَّ الأمر الذي يأتي من قبل الله يأتي من السماء أي: فليقاوم السماء إن قدر، وقيل: المراد فليدل بحبل يخنق به نفسه ويقطعه وعلى كل، فالآية تمثيل أدبي بليغ مأخوذ من عرف المخاطبين، سيق إغاظة وتهكماً بمن كان يعتقد أنَّ رسول الله ﷺ ضال في دعوته وأعماله الفاشلة»[5].

---

(١) ينظر: التسهيل: ٤٦٨/١.

(٢) أولى ما قيل: ٥٧/٩.

(٣) البحر المحيط: ٢٨١/٨.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٤٠/٢٨.

(٥) أولى ما قيل: ١٢٥/٦-١٢٦.

وإلى هذا المعنى ذهب ابن كثير[1]، فيما أشار ابن عاشور[2] والشنقيطي[3] إلى أنَّ هذا الأمر للتعجيز.

٥- الأمر للدعاء:

يأتي فعل الأمر على سبيل التضرّع وطلب الحاجة، ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، قال رشيد: «جعل هذا البيان توطئة للدعاء عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي: بالآفات والحوائج حتى لا يرى لها أثر. ثم نسق مع الدعاء عليهم بيان تحريفهم لطباعهم ليكون كالتعليل الضمني له، وأخرجه مخرج الدعاء، وساق مساقه فقال: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: بما أحاطت بها خطيئاتهم حتى أفقدوها نورها واستعدادها للهدى والرشاد... وإنَّما أخرجه مخرج الدعاء ونسقه معه، مبالغة في إظهار اليأس منهم»[4].

وقال البيضاوي: «دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم...»[5] وهذا ما ذكره الزمخشري[6].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٨٣/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٩/١٧.

(٣) ينظر: احتواء البيان، ص٩٨٢.

(٤) أولى ما قيل: ٢١٤/٤.

(٥) أنوار التنزيل: ٢١٢/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣٤٧/٢.

٦- الأمر للإهانة:

ويخرج الأمر للإهانة ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: من الآية ٥٠]، قال رشيد: «فأجابهم بجواب صيغ نظمه على الاستهانة بالأمر والاستخفاف به، مهما كان حاله»[١].

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا القول، سوى السمرقندي الذي ذكر أنَّ الأمر في الآية بمعنى الخبر قائلاً: «اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر، يعني لو كنتم من الحجارة أو من الحديد أو خلقاً مما يكبر في صدوركم»[٢].

٧- الأمر للامتنان:

ويجوز أن يخرج الأمر إلى معنى الامتنان بحسب مقام الكرام ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: من الآية ١٥]، قال رشيد: «ويتضمن هذا الأمر الامتنان»[٣].

وذكر الآلوسي أنَّ الأمر هنا للإباحة[٤]. وذهب ابن جزي إلى معنى التذكير والأنعام[٥]، في حين قال ابن عاشور: «صيغة الأمر مستعملة في معنى الإدامة والامتنان»[٦].

---

(١) أولى ما قيل: ١٧٧/٥.

(٢) بحر العلوم: ٣١٥/٢.

(٣) أولى ما قيل: ٧١/٩.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٥/٢٩.

(٥) ينظر: التسهيل: ١٣٥/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٠/٢٩.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ﴾ [طه: من الآية ٥٤]، قال رشيد: «ثم زاد التحسيس تمنناً بقوله: «كلوا وارعوا أنعامكم» أي: من هذه المخرجات المباركات المنوعات»[١].

وإلى هذا المعنى ذهب القرطبي[٢] والشوكاني[٣]، وذكر ابن عاشور أن «الأمر للإباحة مراد به المنَّة»[٤].

٢- النهي:

وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاءً، قال السكاكي: «للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب»[٥]. فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهي عنه، والسكاكي يوازن بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي فيرى أنَّ الأسلوبين يشتركان في اعتبار الاستعلاء والأخير، ونقصد بالآخر أنَّ الأمر والنهي يقصدان الآخر فلا يمكن لإنسان أن ينهي نفسه أو يأمرها.

أما وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أن لكل منهما صيغة خاصة به. «الأمر دالٌّ على الطلب، والنهي دلَّ على المنع، وأنَّ الأمر لابدَّ من إرادة

---

(١) أولى ما قيل: ٦/٦٤-٦٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٩٠.

(٣) ينظر: فتح القدير: ٣/٥٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: ١٦/١٣٤.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٥٢-١٥٣، وينظر: الإيضاح، ص٢٤٤، وتهذيب السعد: ٣/٤٣.

مأمورة، وأنَّ النهي لابدَّ فيه من كراهية منهيَّة»[1].

ويخرج النهي إلى أغراض مجازية، ومما ورد منها في تفسير أولى ما قيل:

١- النهي للتأكيد والتقرير:

وقد يأتي النهي للتأكيد والتقرير نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: من الآية ٣٩]، قال رشيد الخطيب: «ثم عاد إلى الخطاب العام وختم السياق بما بدأه وهو النهي عن الإشراك بالله تأكيداً له وتقريراً، على نهج القرآن في مثله فقال: «ولا تجعل مع الله إلها آخر» تعبده أو تصمد إليه أو تتوسط به أو تتوكل عليه أو تتبع تشريعه وتعليمه»[2].

و لم يقل هذا المعنى سوى الشيخ الجزائري[3].

في حين ذهب أغلب المفسرين إلى أن النهي في هذه الآية هو للتنبيه، قال البيضاوي: «تنبيهاً على أنَّ التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاه، وأن من قصد بفعل أو ترك غيره ضاع سعيه، وأنَّه رأس الحكمة وملاكها»[4].

٢- النهي للاحتقار:

ويأتي النهي للاحتقار نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ

---

(١) تهذيب السعد : ٢٤٨/٣.

(٢) أولى ما قيل: ١٧٥/٥.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير: ١٩٥/٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٤٧/٣، وينظر: إرشاد العقل السليم: ١٧٣/٥، وروح المعاني: ٧٧/١٥، والسراج المنير: ٢٤/٢.

عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨]، قال رشيد الخطيب: «وبعد أن ذكَّره بهذه النعمة التي لا يماثلها شيء زهَّده في زخارف الدنيا التي أفاضها على المعاندين له والمعارضين لما نزل عليه، لتكون الدنيا من حظهم والآخرة من حظه، وهو أمر يوافق ما في نفسه ﷺ، ولكنه جاء النهي لمجرد المبالغة في التهييج فقال: «لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً» أي: أصنافاً «منهم» أي: من الكفار، ويجوز أن يتعلق بمتعنا. أي: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به بعض هؤلاء الكفار من أصناف النعم والأنعام والأموال، فإنَّها مستحقرة بالإضافة إلى ما أوتيته من نعمة القرآن، كأنَّه قيل: إنَّك أوتيت هذا القرآن العظيم الذي كل شيء غيره لا شيء فلا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات إلى زخارف الدنيا الحقيرة. وهذا ليس على ظاهره؛ لأنَّه ﷺ لا تمتد عينه إلى ذلك، ولكنه إما لشدة البيان عن زهادة زخارف هذه الحياة، وإما نهي للأمة في شخص النبي ﷺ. وذلك على نهج القرآن في أساليبه. ويجوز أن يكون ما كان عليه المسلمون من الفقر والعوز نتيجة مقاطعة المشركين لهم، وهجرتهم عن ديارهم وأملاكهم. وما كان عليه الكفار من التمول والغنى. والحروب تحتاج إلى الأموال: كل ذلك يحز في نفسه ﷺ، فوعظه مع إتباعه ﷻ وهون عليه»[1].

وذهب الزمخشري بالقول: «وقد أوتيت النعمة العظمى التي كل النعم وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن الكريم»[2]، وقال أبو حيان: «ولّما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله ﷺ من إتيانه ما أتاه نهاه، وقد قلنا أن

(١) أولى ما قيل: ٥/١١٨-١١٩.

(٢) الكشاف: ٢/٣٩٧.

النهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا هذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فالمعنى نهي أمته عن ذلك؛ لأنَّ من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه»[1]. وعلى ذلك يكون ما ذكره رشيد في تفسير الآية الكريمة موافقاً لما ذكره أبو حيان في كون صيغة النهي هنا موجهة إلى الرسول ﷺ ولكن المراد به أمة الإسلام؛ لأنَّ النهي قد يذكر للجزء ويراد به الكل، فعلى كل مسلم ألا يمد عينيه إلى ما استحسن من مفاتن الدنيا، لأنَّ القرآن يغني عن كل متعة وزخرف للدنيا.

٣- النهي للكراهية:

ويأتي النهي للكراهية نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: من الآية ٣٧]، قال رشيد الخطيب: «ثم نهانا عن الزهو والتكبر والاختيال فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً» أي: مختالاً زاهياً، وهو حال ينبعث عن الإخلال بغريزة حُبّ الكمال، وفسادها بالتربية السيئة والتوجيه الرديء، فيتولد منها الشعور بالترفع والعظمة واحتقار الغير، وهو أمر مضر بالإجماع ضرراً فادحاً»[2]. فصيغة النهي «لا تمش» خرجت بلاغياً إلى معنى الكراهية ودلَّت على هذا المعنى قرينتها «في الأرض مرحاً» فالقرائن اللغوية تعطي غرض اللغة ودلالاتها المعنوية.

وقال القرطبي: «ولا تمش...» هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع. والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي. وقيل تجاوز الإنسان قدره. وقال قتادة: هو الخيلاء في المشي، وقيل هو البطر والأثر. وقيل هو النشاط وهذه

---

(١) البحر المحيط: ٥/٥٤٢.

(٢) أولى ما قيل: ٥/١٧٤.

الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما مذموم، والآخر محمود»[1].

وفسر أبو حيان الآية معتمداً على تفسير الزجاج والزمخشري فقال: «قال الزجاج: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يحبُّ كل مختال فخور» وقال الزمخشري: «لن تخرق الأرض» لن تجعل فيها خرقاً بدوسك... وهو تهكم المختال»[2] ويضيف أبو حيان قائلاً: «والتهكم: يحمل معاً شيئاً من الكراهية؛ لأنَّ التهكم ينبع من كراهية»[3].

٣- الاستفهام:

الاستفهام لغةً: جاء في لسان العرب: «معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وأفهمه الأمر وفهَّمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً»[4].

والاستفهام بلاغياً: هو طلب العلم بالشيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلبي. وعرّفه السكاكي بقوله: «والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»[5].

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق وإذا كان التردد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/١.

(٢) الكشاف: ٦٢٤/٢.

(٣) البحر المحيط: ٣٧/٦.

(٤) لسان العرب، مادة (فهم)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٨١/١.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٤٦.

في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: «أقام زيد» يكون الاستفهام للتصديق أي: لوقوع الفعل أما إذا قلنا: «أزيد قام أم عمرو؟» يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أن كل ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور.

وللاستفهام ألفاظ موضوعة له[1] وهي (الهمزة)، و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين)، و(أنَّى)، و(متى)، و(أيَّان).

وقد يخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ قال القزويني: «ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[2].

وأهم هذه الأغراض الواردة عند رشيد الخطيب:

١- الاستفهام للتنبيه:

وهو من أقسام الأمر[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، قال رشيد الخطيب في تفسير هذه الآية: «وهذا الاستفهام تمهيد لما بعده، يتضمن تنبيهاً وإيقاظاً لما سيريه من العجائب المخالفة لطبيعتها التي هي عليها، والتي يعلمها منها عليه السلام مما عدده لها»[4].

وهذا المعنى البلاغي قاله أبي السعود في تفسيره: «فالاستفهام إيقاظ وتنبيه له -عليه الصلاة والسلام- على ما سيبدو له من التعاجيب»[5].

---

(١) ينظر: الإيضاح: ٢٢٨/١.

(٢) الإيضاح: ٢٣٤/١.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية: ١٩١/١.

(٤) أولى ما قيل: ٥٩/٦.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٩/٦.

وذهب الخازن إلى أنَّه: «سؤال تقريع والحكمة فيه تنبيهه على إنَّها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنَّها معجزة عظيمة»[1].

في حين ذهب أغلب المفسرين إلا أنَّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة هو استفهام تقرير[2].

٢- الاستفهام للاستبطاء:

يخرج الاستفهام إلى معنى الاستبطاء نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٣٩]، قال رشيد: «وهذا استفهام أخرج مخرج الاستبطاء، وفي طياته إغراء، وحمل على التجمع»[3].

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين[4]، قال أبو حيان في معرض تفسيره للآية: «استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق»[5].

٣- الاستفهام الإنكاري:

ويخرج الاستفهام إلى معنى الإنكار نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [هود: من الآية ١٣]، قال رشيد الخطيب: «واختار الأستاذ الإمام

---

(١) لباب التأويل: ٢٦٦/٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٧٩/٥، والتسهيل: ١٧٠/٢، والمحرر الوجيز: ٥٠/٤، وأيسر التفاسير: ٣٤٣/٣، والبحر المديد: ٦٨٨/٤.

(٣) أولى ما قيل: ٢٢٥/٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣١٧/٣، ومدارك التنزيل: ١٨٤/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٤٢/٦، وأنوار التنزيل: ٢٣٧/٤، والسراج المنير: ٣٣/٣.

(٥) البحر المحيط: ١٥/٧.

أنَّ (أم) في أول الكلام تكون للاستفهام. وهو هنا للإنكار. والمعنى: أيقولون أنَّ محمداً افترى هذا الكلام»[1]. حاشاهُ.

وهذا ما ذهب إليه الآلوسي وابن عاشور[2]، وقال أبو السعود: «الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب»[3]، وذهب الشوكاني إلى أن: «الاستفهام للتوبيخ والتقريع»[4]، ولم يصرح الطبري بالاستفهام وإنَّما اكتفى بتقديره قائلاً: «ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: أيقولون افتراه؟»[5]. وذكر رشيد أمثلة متعددة في تفسيره[6]. وهذا الإنكار يأتي على أنواع بلاغية متعددة ذكرها المفسرون ومنهم مفسرنا رشيد الخطيب، ومن هذه الأنواع:

أ – الاستفهام الإنكاري الهازئ:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الملك: ٢٠]، قال رشيد الخطيب: «بمعنى: أي: جند لكم ينصركم مني، فالاستفهام إنكاري هازئ مُسفِّه لهم كأنَّه -سبحانه- يقول لهم: بأي قوة تعصونني: ألكم جند يدفع عنكم عذابي غير رحمتي، وأتى بكلمة الذي ليتناول الفرد»[7].

---

(١) أولى ما قيل: ٢٢٧/٤، وينظر: تفسير المنار: ٢٣٨/٧.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٠/١٢، والتحرير والتنوير: ٢١٨/١١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٩١/٤.

(٤) فتح القدير: ٧٠٢/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٥.

(٦) ينظر: أولى ما قيل: ١٩٦/٤، ١٢٤/٩، ٢١١/٩.

(٧) أولى ما قيل: ٧٢/٩.

وذكر أبو السعود أنَّ الاستفهام للتبكيت[1]، واقتصر الآلوسي على معنى التهكم[2]، وقال أبو حيان أنَّ الاستفهام للتقريع والتوبيخ[3]، في حين ذكر بعض المفسرين أنَّ الاستفهام هنا للإنكار[4].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: من الآية ٨٧]، قال رشيد الخطيب: «والاستفهام للإنكار والاستهزاء. والمعنى: أدينك هذا يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو أن نتصرف في أموالنا بما نستطيع من حذق واحتيال على الكسب من الناس»[5].

وذكر الزمخشري الآية على طريق السخرية والهزء وتابعه البيضاوي[6].

وذهب القرطبي إلى معنى الإنكار[7]، واقتصر ابن جزي على معنى الاستهزاء[8]، وتبعه أبو حيان في ذلك[9]، وذهب البقاعي إلى معنى التهكم[10].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨/٩، والبحر المحيط: ١٤٥/٨.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٩/٢٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٧/٨.

(٤) ينظر: التسهيل: ٢٠٥/٣، ولباب التأويل: ١٢٦/٧، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٣/١٩.

(٥) أولى ما قيل: ٢٥٣/٤-٢٥٤.

(٦) ينظر: الكشاف: ٢٨٦/٢، وأنوار التنزيل: ٤٦٦/١.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٩.

(٨) ينظر: التسهيل: ١١/١٢.

(٩) ينظر: البحر المحيط: ٢٥٣/٥، وينظر: التفسير الكبير: ٣٦/١٨، وزاد المسير: ٢٧٤/٤.

(١٠) ينظر: نظم الدرر: ٤٤٠/١٢.

ب- الاستفهام الإنكاري التهويلي:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]، قال رشيد الخطيب: «فهددهم وأنَّبهم سبحانه بأسلوب الاستفهام الإنكاري التهويلي فقال: «ألا يظن أولئك أنَّهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين» قياماً طويلاً، يحاسبهم فيه على أعمالهم وما ارتكبوه من السيئات»[(١)].

وذهب بعض المفسرين ومنهم الرازي وأبو حيان إلى معنى الإنكار[(٢)]، وذهب آخرون ومنهم البيضاوي والنسفي وابن عاشور إلى أنَّ الاستفهام تعجيبي[(٣)].

٥- الاستفهام الإنكاري التبصيري:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، قال رشيد الخطيب في معرض تفسيره للآية: «والمكب: هو الذي ينكس رأسه إلى الأرض فلا يبصر الطريق ولا من يستقبله. والسوي: هو الذي يستوي قائماً فيبصر الطريق وجميع الجهات: مثل بهما للمؤمن المتبصر والكافر المعرض، بطريقة الاستفهام الإنكاري التبصيري»[(٤)].

ولم يذكر المفسرون هذا المعنى الذي ذكره رشيد الخطيب، بل اقتصروا

---

(١) أولى ما قيل: ١٦٧/٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٨٣/٣١، والبحر المحيط: ٤٣٢/٨، وأيسر التفاسير: ٥٣٤/٥.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٦٤/٥، ومدارك التنزيل: ٣٢٣/٤، والتحرير والتنوير: ١٧١/٣٠، والسراج المنير: ٣٦٥/٤.

(٤) أولى ما قيل: ٧٢/٩.

على معنى الإنكار فقط[1].

د- الاستفهام الإنكاري التعجيبي:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال رشيد الخطيب: ««ألم تَرَ» للتعجيب من هذه المحاجة وغباوة صاحبها وغروره مع الإنكار عليه»[2].

وذهب البيضاوي إلى معنى التعجيب قائلاً: «تعجيب من محاجة نمرود وحماقته»[3]. وهذا رأي النحاس؛ إذ يقول: «وفي الكلام معنى التعجيب، أي: أعجبوا له»[4]. وذكر ابن عطية وأبو السعود إنَّ: «همزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي»[5].

هـ- الاستفهام الإنكاري التهديدي:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: من الآية ٥٠]، قال رشيد الخطيب: «وقد أقام مقام الجواب هذه الجملة المصدرة بالإنكار التهديدي ملتفتاً من الخطاب إلى الغيبة للإبعاد والتحقير»[6].

---

(١) ينظر: فتح القدير: ٣٦٩/٥.

(٢) أولى ما قيل: ص٣٤٨، وينظر: تفسير المنار: ٣٨/٣-٣٩.

(٣) أنوار التنزيل: ٥٥٩/١.

(٤) معاني القرآن: ٢٧٥/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٤٢/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٥١/١.

(٦) أولى ما قيل: ٢٠٢/٤.

ولم يذكر المفسرون المعنى الوارد للاستفهام في هذه الآية الكريمة، سوى صاحب زهرة التفاسير الذي قال: «أرأيتم: استفهام داخل على رأيتم وهو تصوير حالهم، والمعنى: أرأيتم وتصورتم حالهم إذا أتاكم عذابه بياتاً وأنتم نائمون...»[1]، فعرض الاستفهام عنده هو للتبصير.

٤- الاستفهام التقريري:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: من الآية ٢٠]، قال رشيد الخطيب: «... وقد قرر التثبيت بهذا الاستفهام التقريري فقال: «أتبصرون» على ذلك الابتلاء: يحملهم بهذا الاستفهام على الصبر والثبات»[3].

وذكر ابن عاشور أنَّ غرض الاستفهام في هذه الآية هو الحث والأمر[4]. وهذا الرأي قال به أغلب المفسرين[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٤]، قال رشيد الخطيب: «ألم يعلموا» تقرير المعنى لا الاستفهام الحقيقي. فهو يقرر بقوله: «ألم يعلموا...» قبول الله للتوبة وللصدقات»[6].

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ٣٥٨٦/١.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٩٠/١.

(٣) أولى ما قيل: ٢٠٤/٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١/١٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٧/٦، وتفسير الجلالين: ٤٧٢/١، وبحر العلوم: ٥٣٣/٢.

(٦) أولى ما قيل: ١٦٥/٤.

وهذا المعنى جاء موافقاً لما قال به المفسرون، جاء في تفسير الجلالين: «الاستفهام للتقرير والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة»[1].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]، قال رشيد: «والاستفهام للتقرير، والمعنى: إنَّ الله سبحانه جعل كيدهم فاشلاً خائباً»[2]. وهذا رأي أغلب المفسرين[3].

وقد أكثر الشيخ رشيد الخطيب من ذكر هذا النوع في تفسيره[4].

٥- الاستفهام للتقريع والتبكيت:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ [الفرقان: من الآية ١٧]، قال رشيد الخطيب: «وهذا الاستفهام للتقريع الصافع والتبكيت اللاذع للعبدة الضالين»[5].

وهذا رأي البيضاوي؛ إذ قال: «لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة»[6].

وذكر الزمخشري معنى التبكيت وتبعه النسفي[7].

---

(١) تفسير الجلالين: ٢٥٩/١، وينظر: لباب التأويل: ١٤٥/٣، وأيسر التفاسير: ٤٢٢/٢.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥١/٩.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٣٦/٣، وفتح القدير: ٧٠٤/٥، والبحر المديد: ٥٣٧/٨.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ١٧/٤، و٤٨/٧، و١٢٩/٩، و٢١٥/٩.

(٥) أولى ما قيل: ٢٠٣/٦، وانظر أمثلة أخرى في: ٣٥/٤، و٢٣٠/٦.

(٦) أنوار التنزيل: ٢١٠/٤.

(٧) ينظر: الكشاف: ٢٧٣/٣، ومدارك التنزيل: ١٦٣/٣.

ويأتي الاستفهام عند رشيد الخطيب بمعنى التبكيت فقط، من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ﴾ [النحل: من الآية٢٧]. قال رشيد الخطيب: «أي: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين في شأنهم. والمراد من هذا الاستفهام التبكيت على ما كانوا يعتقدونه من أنَّها تشفع لهم عند الله»(١).

قال القرطبي: «﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ أي: بزعمكم في دعواكم، أي: الآلهة التي عبدتم من دوني، وهو سؤال توبيخ»(٢).

وأضاف أبو حيان معنى الإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ(٣).

وذكر البيضاوي معنى الاستهزاء قائلاً: «ويقول أين شركائي» أضاف إلى نفسه استهزاء، أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم»(٤) وإلى ذلك ذهب النسفي(٥).

ويأتي الاستفهام عنده أيضاً بمعنى التقريع فقط، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: من الآية ٣٥]، قال رشيد: «استفهامان تقريعيان متواليان، بمعنى أي شيء أصابكم، وكيف تحكمون أن يكون هؤلاء شركاء لله»(٦).

---

(١) أولى ما قيل: ١٢٨/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/١٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٣٠/٧.

(٤) أنوار التنزيل: ٣٣٧/٣.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: ١٥٧/٢.

(٦) أولى ما قيل، ص١٦٩ من المقدمة.

قال الشوكاني: «هذا تعجيب من حالهم باستفهاميين متواليين أي: أي شيء لكم كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ»[1].

وذكر أبو حيان أنَّ الاستفهام للتعجب والإنكار قائلاً: «فما لكم استفهام معناه التعجب والإنكار، أي: أي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء؛ إذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم؟ كيف تحكمون استفهام آخر: كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء؟ وهاتان جملتان أنكر في الأولى، وتعجب من أتباعهم من لا يهدي ولا يهتدي»[2].

وذهب ابن جزي إلى أنَّ الاستفهام للتقرير والتوبيخ[3]. وقال ابن عاشور أن الاستفهام تعجيبي[4].

٦- الاستفهام للاستغراب والاستعظام:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ [يوسف: من الآية ٩٠]. قال رشيد في تفسيره للآية الكريمة: «وهذه الجملة الاستفهامية المؤكدة بعدة مؤكدات هي التي أفادت أنواعاً عديدة من الإحساسات فهي من البلاغة بمكان: شرحت الموقف شرحاً دقيقاً، مزج فيه التقرير والدهشة مع استفهام الاستغراب والاستعظام. إذ ما كانوا يظنون أنَّه يصبح عزيز مصر

(١) فتح القدير: ٦٤٢/٢.
(٢) البحر المحيط: ١٥٨/٥.
(٣) التسهيل: ٤٨٣/١، وينظر: الجلالين: ٢٧٢/١.
(٤) التحرير والتنوير: ٥٥/٧.

بهذه العظمة البالغة وهذا الشأن الرفيع»[1].

وقال أبو السعود عن هذا الاستفهام أنَّه: «استفهام تقرير، ولذلك أكدوه باللام قالوه استغراباً وتعجباً»[2].

وتردد أبو حيان بين استفهام الاستخبار والاستفهام التقرير قائلاً: «واستفهموه استفهام استخبار، وقيل استفهام تقرير، لأنَّهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها»[3].

وذهب أغلب المفسرين إلى أنَّه استفهام تقرير[4].

٧- الاستفهام للاستبعاد والاستعظام:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر:٥٤]، قال رشيد الخطيب: «ولما سمع بهذه البشارة التي ملأت قلبه سروراً، ووافقت غرضه ومأموله، طغت عليه موجة من الحرص الطبيعي على تحقيق إنجازها وتحقيقها. فاستفهم عما يكون من أمر المانع الطبيعي وهو الكبر، وأخرج الاستفهام عن ذلك بصورة الاستبعاد والاستعظام، ليسمع من المبشر ما يكف عنه تلك الخاطرة، ويخفف عنه ذلك الهاجس على حد قوله ولكن ليطمئن قلبي و﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ

---

(١) أولى ما قيل: ٥/٥٠.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٤/٣٠٤.

(٣) البحر المحيط: ٥/٣٣٧.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/٣٠٧، وروح المعاني: ١٣/٤٨، والسراج المنير: ٢/١٠٧، والتحرير والتنوير: ١٢/١١٣، والبحر المديد: ٣/٤١٨.

﴿ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾. أي: بأي أعجوبة تبشروني: يستعصم عادة أن يولد له ولد وهو بهذه السن»[1].

وذهب أكثر المفسرين إلى أنَّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة هو استفهام تعجب. قال ابن جرير: «قال عجب من كبره، وكبر امرأته»[2].

وذهب أبو حيان إلى أنَّه: «تأكيد استبعاد وتعجب»[3].

ويأتي عنده للتعظيم والتهويل كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قال رشيد الخطيب: أي: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتغمرهم أهوالها. والمراد منها يوم القيامة والمعنى: هل سمعت قصة يوم القيامة وما يقع فيها، والاستفهام للتعظيم الأمر وتهويله»[4].

وذهب أغلب المفسرين إلى أنَّ الاستفهام للتعجيب[5].

وقال ابن عاشور: «كون الاستفهام بـــ(هل) فيه مزيد تشويق فهو استفهام صوري يكنَّى عن أهمية الخبر بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١١٢/٥-١١٣.

(٢) جامع البيان: ١١٣/١٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٠، ومعالم التنزيل: ٣٨٤/٤، والتفسير الكبير: ٣١٩/٩، ونظم الدرر: ٤٢٠/٤، وفتح القدير: ١٨٣/٤، وأضواء البيان، ص٤٦٣.

(٣) البحر المحيط: ١٩٧/٧.

(٤) أولى ما قيل: ١٨٨/٩.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤٨/٩، وروح المعاني: ١١٢/٣٠، وفتح القدير: ٦٠٥/٥.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٦١/٣٠.

٨- الاستفهام للتهويل:

ويكون للتخويف[١] نحو قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: من الآية ٥٠]، قال رشيد الخطيب: «وقد ضمن معنى يتمكن فعداه تعديته، أي: ماذا يتمكنون أن يفعلوا إذا جاءهم العذاب في أي وقت كان، وهذا الاستفهام للتهويل ووخامة العاقبة»[٢].

قال الواحدي في معنى الآية: «وهذا استفهام معناه التهويل والتفظيع، أي: ما أعظم ما يلتمسون ويستعجلون كما تقول: أعلمت ماذا تجني على نفسك؟! فلما قال لهم النبي ﷺ قالوا: نكذب بالعذاب ونستعجله فإذا وقع آمناً به»[٣].

وذهب الشوكاني إلى أنَّ الاستفهام للإنكار[٤].

وقال السمرقندي: إنَّ الاستفهام للتهديد[٥].

٩- الاستفهام للتثبيت:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: من الآية ١٤]، قال رشيد الخطيب: «وهذا الاستفهام من باب التثبيت والترقية إلى معارج اليقين»[٦].

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٩٢.

(٢) أولى ما قيل: ٤/٢٢٨.

(٣) الوجيز: ١/٥٠١، وينظر: البحر المديد: ٣/٢٢٨.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٢/٦٥٢.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٢٠.

(٦) أولى ما قيل: ٤/٢٢٨.

وقد ذكر أغلب المفسرين أنَّ الاستفهام هنا في معنى الأمر[1].

وذهب بعضهم أنَّه مستعمل في الحث على الفعل وعدم تأخيره[2].

١٠- الاستفهام للاسترحام:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٥]، قال رشيد الخطيب: «فهذا الاستفهام مرده الاسترحام بشأنه ورأفته العامة أن لا يفتنهم بالفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة. أي: ربنا لا تهلكنا بما فعل هؤلاء»[3].

وذكر بعض المفسرين أنَّ الاستفهام للاستعطاف[4].

٤- النداء:

النداء (لغةً): النَّداء والنُّداء: صوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداهُ مناداةً ونِداءً أي: صاح بهِ[5].

النداء (اصطلاحاً): أدخل البلاغيون النداء في صيغ الإنشاء الطلبي، ثم عرَّفوه بأنَّه: طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديراً[6].

---

(١) ينظر: الوجيز: ٥١٥/١، ولباب التأويل: ٢٢٢/٣، والكشف والبيان: ١٦٠/٥، وزاد المسير: ٨٣/٤، وبحر العلوم: ١٤١/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٥٠/١٠، والبحر المديد: ٢٧٧/٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٥١٤/٣، والتحرير والتنوير: ٢٢٠/١١.

(٣) أولى ما قيل: ٥٦/٤.

(٤) ينظر: تفسير الجلالين: ٢١٦/١، والسراج المنير: ٤١٢/١.

(٥) لسان العرب، مادة (ندى).

(٦) ينظر: تهذيب السعد: ٤٤/٣، والإتقان: ٢٠٩/٢.

وله حروف معينة قال فيها ابن عقيل: فإن كان المنادى بعيداً فله من حروف النداء: (يا، وأي، وآ، وهيا)، وإن كان قريباً فله (الهمزة)، وإنْ كان مندوباً -وهو المتفجع أو المتوجع عنه- فله: (وا) [1].

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون، وتناول رشيد المعاني المجازية للنداء في بعض الآيات في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية فيها ومنها:

١- النداء للتبريك:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: من الآية: ٨]، قال رشيد الخطيب مبيناً غرض النداء في هذه الآية: «وهم الملائكة الذين حضروا احتفاء باستنباء موسى عليه السلام وهذا النداء للتبريك. والله أعلم بمراده»[2].

وقال الزمخشري في بيان معنى النداء: «أنَ هي المفسرة؛ لأنَّ النداء فيه معنى القول، والمعنى: قيل له بورك»[3]، فالنداء عند الزمخشري هو بمعنى القول، وهذا رأي البيضاوي والشوكاني[4].

وذهب ابن جزي إلى أنَّ النداء للتنزيه قائلاً: «والمقصود تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من النداء»[5].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٢٥٥-٢٥٦.

(٢) أولى ما قيل: ٦/٢٤٧.

(٣) الكشاف: ٣/٣٥٤.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/٢٥٩، وفتح القدير: ٤/١٨١.

(٥) التسهيل: ٢/٣٠٢.

٢- النداء للتعجب:

ويرد النداء للتعجب نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، قال رشيد الخطيب: «فلما سمعت البشارة دفعها الحرص على تحققها، أن تستفهم كيف تذلل الموانع الطبيعية العادية فيها وفي زوجها، فأظهرت ذلك بصورة التعجب تمشياً مع خصائص اللغة في التعبير عما يخالج النفس من مثل ذلك و«قالت يا ويلتى» وهذا الكلام أتى للاستحياء والتعجب أي: يا عجباه»[(١)].

وهذا مما ذهب إليه ابن جزي قائلاً: «يا ويلتى» الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم... ومعناه التعجب من الولادة»[(٢)].

وقال الزمخشري في تفسير الآية: «هو استعجاب من حيث العادة»[(٣)] وتبعه البغوي والرازي وأبو حيان والبيضاوي والشوكاني[(٤)].

٣- النداء للتنبيه:

من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، قال رشيد الخطيب: «فخصَّ بالنداء أصحاب العقول الكاملة للتنبيه على أنَّهم هم الذين يفقهون سر هذا الحكم وما اشتمل

---

(١) أولى ما قيل: ٢٤٧/٤.

(٢) التسهيل: ١٠٩/٢.

(٣) الكشاف: ٢٨١/٢.

(٤) ينظر: معالم التنزيل: ٣٩٣/٢، والتفسير الكبير: ٢٥/١٨، والبحر المحيط: ٢٤٣/٥، وأنوار التنزيل: ٤٦٣/١، وفتح القدير: ٥١٢/٢.

عليه من الحكمة والمصلحة العامة»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الغرض للنداء في هذه الآية الكريمة.

٥- التمني:

جاء في اللسان: «تمنَّى الشيء: أراده، والتمني: تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه»[2].

وهو في **الاصطلاح**: طلب حصول شيء على سبيل المحبة[3].

ويكون في الأمر الذي يصعب تحقيقه أو يستحيل، والأداة الموضوعة للتمني هي (ليت)، وقد يُدلّ على التمني بحروف أخرى ليست موضوعة للتمني وهي (هل، لو، لعل)، ولا بد من أن يكون نقلها إلى التمني لأمر من أمور البلاغة[4].

ويخرج التمني من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون وتناول رشيد الخطيب بعض هذه المعاني في تفسيره مُبيناً الأغراض البلاغية لأسلوب التمني ومنها:

١- التمني للنجدة والخلاص:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ**﴾ [الأعراف: ٥٣]، قال رشيد الخطيب: «﴿**فَهَل لَّنَا**﴾ الآن ﴿**مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ**﴾ فيتمنون الخلاص بكل وسيلة يتصورونها حسب عقليتهم

---

(١) أولى ما قيل، (رسالة) مخطوط الجزء الأول، ص٢٥٢.

(٢) لسان العرب، مادة (تمنى).

(٣) التلخيص : ٢٢٨/١.

(٤) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٨.

وانطباعاتهم. وهذا التمني، مظهر من مظاهر الندم العظيم واليأس العميق»[1].

وقال أبو حيان بمعنى الخلاص في هذه الآية: «ما أخبر به من الوعد والوعيد... سؤالاً عن وجه الخلاص في وقت أن لا خلاص»[2].

واقتصر القرطبي بذكر لفظ التمني قائلاً: «الاستفهام فيه معنى التمني»[3].

ولم يذكر الزمخشري لفظ التمني في الآية بل اكتفى بالقول على أنَّها استفهام[4].

٢- التمني لرفعة وعزة المُتمنِّي:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] ذلك لأنَّ التمني بـــ(لو) أشعار بعزَّة المُتمني وقدرته؛ لأنَّ المتكلم يظهر في صورة الممنوع؛ لأنَّ (لو) بحسب أصلها حرف امتناع[5]. وامتناع الشيء عن الإنسان سبب ليصبح الممتنع ذا هَيبة، ووقع في القلب والنفس، وكما يقال في علم النفس كل ممنوع مرغوب و(لو) أداة امتناع لامتناع فامتناع الشيء عن الوجود أمام الطالب يجعل الحصول عليه ممنوعاً لذلك كان تمني الكافرين العودة المحببة والعزيزة إلى قلوبهم لدار الدنيا سبباً في عدم كونهم من المؤمنين، فالسبب المعدوم أدى إلى نتيجة معدومة، قال رشيد الخطيب: «وللزيادة في الندم يتمنَّون الرجوع لإصلاح ما فرط منهم، تمني يائس بائس... ويجوز أن يكون هذا

---

(١) أولى ما قيل: ٤/٢٤.

(٢) البحر المحيط: ٤/٣٠٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٩٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/٩٢.

(٥) ينظر: علم المعاني، ص٦٣.

القول زفرة الإفاقة والعلم بأنَّ الأوان قد فات، وأن لا فائدة في توزيع التبعات»[1]. فهذا الرجوع للمُتمنى صار له عزة ورفعة لامتناعه.

وذهب الزمخشري بالقول: «ولو في مثل هذا الموضع في معنى كأنَّه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى (لو) و(لَيتَ) من التلاقي في التقدير»[2]، وقال القرطبي في معرض تفسيره للآية: «ولو وقع لنا رجوع إلى الدنيا لآمنا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني»[3].

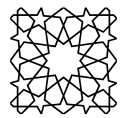

(١) أولى ما قيل: ٦/٢٣٠-٢٣١.

(٢) الكشاف: ٣/٣٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/١١٧.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير

أسلوب التقديم والتأخير من أبرز الظواهر البلاغية وأهمها في لغة العرب، إذ إنَّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»[1]، إنَّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه (ت١٨٠هـ) أوّل من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والفعول للعناية والاهتمام[2]. ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللغويون سيبويه في آرائه كالمبرد (ت٢٨٥هـ) وابن جني (ت٢٩٣هـ) الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء (ت٢٠٧هـ) والأخفش (ت٢١٥هـ) في نصهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللفظ والتأخير في المعنى إلى أن وصل البحث إلى الجرجاني (ت٤٧١هـ) الذي درس الظاهرة -مفيداً من سيبويه- دراسة دقيقة مفصلة وأعطى فيها لكل حالة خصوصيتها المعنوية، وقدَّم دراسته على وفق منهج علمي دقيق وتتابعت الدراسات البلاغية للتقديم والتأخير فكان الزركشي (ت٧٩٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدَّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

---

(١) المزهر: ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ١٢٧/٢-١٢٨.

❑ التقديم والتأخير عند رشيد الخطيب:

وقف رشيد الخطيب على بعض الآيات القرآنية، التي اشتملت على أسلوب التقديم والتأخير، وبين الأغراض البلاغية وراء كل تقديم وتأخير، وكما بين سبب التقديم والتأخير، وسأشير -إن شاء الله- إلى هذه الآيات، ومن اللافت للنظر أنَّ رشيد لم يتوسع بالقول في هذا الأسلوب، وإنَّما اكتفى ببعض الإشارات في أثناء تفسيره للآيات القرآنية الكريمة.

١- التقديم للتخصيص:

ورد هذا النوع من التقديم في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: من الآية ٥]، قال رشيد: «فالتقديم لغرض التخصيص»[(١)].

وقال أبو السعود: «وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص»[(٢)]. في حين ذهب ابن عطية إلى معنى الاهتمام في التقديم قائلاً: «وقدم المفعول على الفعل اهتماماً وشأن العرب تقديم الأهم»[(٣)].

٢- التقديم لإظهار شدة الشناعة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، قال رشيد: «التقديم لإظهار شدة الشناعة فيما فعلوا؛ إذ بالباطل آمنوا وبدين الله كفروا»[(٤)].

---

(١) أولى ما قيل: ١/٤٦.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/٩.

(٣) المحرر الوجيز: ١/٦٤.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ٧/٤٨.

وهذا ما ذكره أبو السعود بقوله: «وتقديم الصلة في الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوه»[1]، وذهب البيضاوي إلى معنى الاهتمام أو الاختصاص قائلاً: «وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة»[2]، وتبعه الآلوسي[3].

٣- التقديم لزيادة مدلول الجملة:

وجاء هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٠]، قال رشيد: «وللزيادة في مدلول الجملة، قدم ضمير الفصل»[4].

وقال الشوكاني: إنَّ غرض التقديم هو الاختصاص: «وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص»[5]، وهذا ما ذهب إليه أغلب العلماء[6].

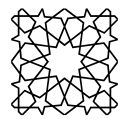

(١) إرشاد العقل السليم: ٤٧/٧.

(٢) أنوار التنزيل: ٣٢٤/٤.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٤/٢١، والبحر المديد: ٤٩٥/٥.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ٤٦/١.

(٥) فتح القدير: ١١٦/١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٣٣١/١، والتحرير والتنوير: ٤٤٢/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٧٢/١.

المبحث الرابع

الفصل والوصل

الفصل في اللغة الحاجز جاء في اللسان: والفصل الحاجز بين الشيئين، فصَّل بينهما يفصل فصلاً فانفصل وفَصَلْت الشيءَ فانفصل: أي: قطعته فانقطع، والوصل، وصل الشيء بالشيء يصلهُ وصلاً وصِلةً وصُلَةٌ، واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع[1].

والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركهُ[2]. وهو من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنَّه قيل للفارسي ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل[3]. ولعل عبد القاهر من أشهر الذين بحثوه بحثاً مفصلاً، والذي حدد أصول البحث في الفصل والوصل وقوانينه، وأنواعه بقوله: «إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها -لو عطفت- يعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف. وجملة ليست في الشيء من الحالين... وحتى هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين

---

(١) لسان العرب، مادة (فصل) و(وصل)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١١٨/٣.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص١٤٥، والتلخيص، ص١٧٥، وتهذيب السعد: ٥٨/٣.

(٣) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨/١.

الحالين فاعرفه»[1].

واتفق البلاغيون فيما بعد على إن الفصل في خمسة مواضع وأن الوصل يجب في ثلاثة مواضع[2].

❑ مواضع الفصل:

➢ **الأول**: وهو أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى المترلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوّز والغلط، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ [البقرة: ٦] تجد أن جملة «لا يؤمنون» مؤكدة لجملة «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم»، لأنَّ معنى الثانية: يستوي عندهم الإنذار وعدمه، قال رشيد: «وقوله: ﴿**لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها»[3].

أو أن تنزل الثانية بدلاً من الأولى، والبدل ثلاثة أضرب: المطابق، والبدل جزء من كل، وبدل الاشتمال.

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ**﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢]، قال رشيد: «وهذا الإبدال للتقرير والتحرير وإظهار اليقين»[4].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص١٤٥، والتلخيص، ص١٤٧.

(٣) أولى ما قيل: ٧٧/١.

(٤) المصدر نفسه: ٤٤/٤.

وقال أبو حيان: «ولما كان قد يوهم هذا اللفظ غير الله تعالى كقول فرعون أنا ربكم الأعلى نصّوا بالبدل على إنَّ ربِّ العالمين رب موسى وهارون»[1].

ومن أمثلة بدل الاشتمال قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [الكهف: من الآية ٦٣]، قال رشيد: «وقوله: «أن أذكره» يحتمل أن يكون مفعولاً لنسيت، على إنَّه بدل اشتمال من الحوت... ويحتمل أن يكون بدل اشتمال من ضمير أنسانيه ويحتمل الأمرين معاً على طريقة المتنازع ولذلك أخرَّه»[2].

أو أن تكون الثانية بياناً للأولى وذلك بأن تترل منها مترلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والمقتضي للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته.

وقد أورد الشيخ رشيد من هذا العطف في تفسيره لكنه لم يجزم به قائلاً: «﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٧] بدل منه أو عطف بيان عليه وحده دون الأول. وقيل بل إنما فصل اسم الموصول هنا؛ لأنه بيان مستأنف للموصلين اللذين قبله معاً»[3].

➢ **ثانياً**: وهو أن يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي: تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً

---

(١) البحر المحيط: ٣٦٤/٤.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥/٦.

(٣) أولى ما قيل : ٥٨/٤.

وإنشاء لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة: ٤٤- من الآية ٤٥]، قال رشيد: «ويجوز أن يكون في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ انفصال في الكلام والتفات به إلى المؤمنين يثبِّتهم تجاه هؤلاء المعاندين. ومثل هذا من نهج القرآن وأساليبه»[1].

➢ **ثالثاً**: وهو أن تصلح الجملة الثانية جواباً على سؤال صريح أو مفهوم من الجملة الأولى فتترل الأولى مترلة السؤال فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف) كقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾ [التوبة: ٩٤- من الآية ٩٥]، قال رشيد: «﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويحاسبكم بما تستحقون. ثم استأنف الكلام وقال: «﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾ أي: سيؤكدون إليكم اعتذارهم بالأيمان الكاذبة إذا رجعتم إليهم من سفركم»[2].

➢ **رابعاً**: وهي أن يكون ثمة جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية فيُترك العطف لئلا يُظن أنَّها معطوفة على الثانية، ويسمي البلاغيون هذه الحالة (شبه كمال الانقطاع)، ومثله قول الشاعر:

يَقُولُونَ: إِنِّي أَحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظِيرِي

فقد فصل جملة: «أعوذ بربي» عن جملة: «يقولون» مع جواز عطفها

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٢٤.

(٢) أولى ما قيل : ٤/١٦٢.

عليها، حتى لا يتوهم عطفها على جملة: «أحمل الضيم...»، فتكون من مقولهم؛ وهي لست منه، بل هي من كلام الشاعر[1].

و لم أجد شواهد عند رشيد الخطيب ذكرناها إكمالاً للفائدة.

➢**خامساً**: وهو ألا يراد إشراك الجملة الثانية مع سابقتها في الإعراب؛ لأنَّ ذلك يغيّر المعنى، ويسمي البلاغيون هذه الحالة (التوسط بين الكمالين)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤- ١٥]، فلو عطف ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ داخلة في كلام المنافقين وهذا بالطبع غير هذا، و لم أجد أيضاً شواهد عند رشيد ذكرناها إكمالاً للفائدة.

❑ مواضع الوصل بين الجمل:

المقصود الحالات التي يجب فيها العطف بين الجمل وهي ثلاثة مواضع:

➢**أولاً**: إذ اختلفت الجملتان خبراً وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود، كقولك لمن سألك عن صحة أبيك المريض: هل تحسّنت صحة أبيك؟ فتقول له (لا وعافاك الله) فإنَّ حرف العطف في جوابك لابد منه؛ لأنَّ حذفه (لا عافاك الله) يوهم بخلاف المراد، أنت تريد أن تدعو له وعبارتك توهم بأنَّها دعاء عليه، والجملتان مختلفتان فالأولى التي تمثلها (لا) معناها (لم تتحسن صحة أبي) فهي خبرية، والثانية (عافاك الله) دعائية إنشائية، وكان الفصل بينهما أولى فبينهما (كمال انقطاع) إلا أنَّه عطف بينهما لئلا يُتوهَّم عكس المراد[2].

هذا و لم أجد عند رشيد شواهد لهذه الحالة.

---

(١) علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح، ص٤٧٤.

(٢) البلاغة من منابعها، ص١٤٧.

➢**ثانياً**: إذا اتفقت الجملتان المعطوف بينهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فقد اتفقت الجمل: خذوا زينتكم.. كلوا.. اشربوا.. لا تسرفوا.. في الإنشائية لفظاً ومعنى، ومن ثم وصل بينهما، قال رشيد: «وفي الآية حثٌّ على الاعتناء بالنظافة والتجمل... ثم أمر بالاعتدال في أخذ الزينة وتجنب السرف فيها، وذكر ذلك في حكم آخر مكمل للأول على نهج القرآن في مثله، وجعل نظم الكلام تتميماً للقسط والعدل والصلاح والاعتدال الذي يأمر به الله، فعطف على قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ ليكون المعنى: تجملوا في اللباس وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، ولكن اعتدلوا فيها فأوجب الاعتدال في اللبس والأكل والشرب وما إلى ذلك... فما أعظم هذه التعاليم لو عقلها المسلمون»[(١)].

➢**ثالثاً**: إذا قصد المتكلم إشراك الجملتين في حكم إعرابي واحد، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وينبغي أن تكون مناسبة بين الجملتين[(٢)]. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٢ من الآية ٤]، قال رشيد: «وأتى بجملة الصلة «ومما رزقناهم ينفقون» تبصرة للنفوس بأن ما ينفق إنما هو الله وإلى الله...»[(٣)].

---

(١) أولى ما قيل: ١٦/٤-١٧.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٥٥٣/٣، والميسر في البلاغة العربية، ص١٨٢.

(٣) ينظر: أولى ما قيل: ٨١/٤.

المبحث الخامس

القصر والحصر

القصر لغةً: الحبس والالتزام، نقول: قَصَرتَ نفسي الشيء إذا حَبستها[1].

واصطلاحاً: هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة[2].

والقصر توكيد وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤدي القصر ليس جمالياً، فالقصر من مباحث علم المعاني. والغرض الذي يؤديه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوب القصر يتكون من ركنين: المقصور والمقصور عليه، أي: أحد الشيئين موصوف والآخر صفة[3].

وللقصر طرفان: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به.

❑ أنواع القصر:

حين يدرس البلاغيون أنواع القصر أو أقسامه ينظرون إليه من زوايا ثلاث:

أ – القصر من حيث الطرفان:

١- **قصر الموصوف على الصفة**: وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى غيرها. نحو: (المرء بعلمه لا بماله) قصرت

---

(١) لسان العرب، مادة (قصر).

(٢) ينظر: الإتقان: ١٠٦/٢، والميسر في البلاغة العربية، ص٢١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦/٣.

الموصوف (المرء) على صفة العلم. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: من الآية ١٨]، قال رشيد الخطيب: «وإنَّما أكد الجملة بهذه المؤكدات المتعددة المقتضية لحصر الكذب فيهم»[(١)].

٢- **قصر الصفة على الموصوف**: وهو قصر صفة على موصوف كما في قولك: (لا خالق إلا الله) قصرت صفة الخلق والإنشاء على الله ﷻ، ومثله قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]، قال رشيد: «وبعد أن حقق تفرده تعالى بالإلوهية، ببيان اختصاصه بالقدرة العظيمة والإنعامات الجليلة، عقب بذكر ما هو من متمماته، وهو اختصاصه تعالى يعلم الغيب الذي هو من خصائص الإلوهية أيضاً»[(٢)].

ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع:

١- **القصر الحقيقي**: أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع فلا يتجاوزه إلى غيره كقولك: (لا خالق إلا الله) لأن الحقيقة والواقع يشهدان بذلك ولا يمكن أن يتصور العقل السليم خالقاً آخر. ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، قال رشيد الخطيب: «ثم أقام البرهان على إبطال تعدد الآلهة واستحالته فقال: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله، لفسد نظامها، لما يكون بين الآلهة من الاختلاف والتمانع، لأنَّ

---

(١) أولى ما قيل: ١٢/٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٢/٦.

لكل واحد منهم إرادة مستقلة حسبما تقتضيه حالة الإله الصحيح، وإلا لما كان إلهاً، بل كان صاحب تلك الإرادة منهم وحده هو الإله المستقبل بتدبير الملك»[1].

٢- **القصر غير الحقيقي (الإضافي)**: هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة إلى شيء معين ويمكن أن يتجاوزه إلى غيره، كقوله ﷺ: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2] فهو عليه السلام بُعثَ لهذا الغرض لكن إلى جانب أغراض أخرى، فقد بعث ليدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر...، ومثله قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]، قال رشيد: «وهذا كالتعليل لما تقدم من نفي امتيازه على البشر، وبيان أن منصب الرسالة مقتصر على هذا القدر»[3].

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أنَّ القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين. والمخاطب في أسلوب القصر إما أن يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدَّعيه الحاجة[4].

---

(١) أولى ما قيل: ٩٢/٦.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ٢٠٥٧١: ١٩١/١٠.

(٣) أولى ما قيل: ٧٣/٤.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

١- **قصر إفراد**: وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره[١]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: من الآية ٥١]، قال رشيد: «ثم أردف صيغة الحصر فقال: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو الله»[٢].

٢- **قصر القلب**: وفيه يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم له أي يعتقد عكس تلك الصفة الأولى ويسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع[٣]، كقولك: جاءني زيد لا عمرو، مخاطباً من يعتقد أن عمراً هو الذي جاءك دون زيد، فأنت تعكس وتقلب ما يعتقده، ولذا سمي قصر قلب. و لم أجد عند رشيد شواهد لهذا النوع من القصر.

٣- **قصر التعيين**: وفيه يكون المخاطب متردداً في الحكم بين عليه أي واضح أي من تساوي الأمران عنده، أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة[٤]، كقولك لمن يتردد شاكاً في النجاح أعمرو أم بكر، إنَّما الناجح عمرو، وقولك: لمن يشك في أمر زيد أمقيم أم مسافر، زيد مقيم لا مسافر.

هذا و لم أجد عند رشيد شواهد لهذا القصر.

❑ طرق القصر:

والمراد الأساليب التي يؤدى بها القصر، وقد اهتمَّ البلاغيون بأربع منها وهي: القصر بـــ(إنَّما)، القصر بـــ(ما) و(إلا) أو بالنفي والاستثناء، القصر

---

(١) معجم البلاغة العربية: ٢/٤٥٠.

(٢) ينظر: أولى ما قيل: ٥/١٣٤.

(٣) ينظر: الإيضاح، ص١١٩، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: الإيضاح، ص١١٩.

ببعض حروف العطف، القصر بتقديم ما حقه التأخير، وهذه الأساليب ذكرها رشيد الخطيب في تفسيره، وإليك بيان ذلك:

١- القصر بالنفي والاستثناء:

وهي أوسع طرق القصر وأكثرها شهرة ودوراناً في كتاب الله ﷻ، والنفي والإثبات أساساً أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا كل المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، ويستخدم هذا الطريق فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يجهله ولا يعرفه، أو فيما يشك فيه ويرتاب.

قال عبد القاهر: «وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنَّه ليس بزيد، وأنَّه إنسان آخر، ويجد فيه الإنكار أن يكون كذلك...»[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال رشيد: «فقال: «لا يملكون الشفاعة» أي: لا شفاعة لهم من أحد هناك، ولا ينجو «إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» أي: بإيمانه وعمله الصالح فهو الناجي حسبما وعد الله سبحانه - وهذا الاستثناء منقطع أو محمول على المعنى»[(٢)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأعراف: من الآية ٨٩]، قال رشيد: «وهذا

(١) دلائل الإعجاز، ص١٢٧، وينظر: علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣١٠.
(٢) أولى ما قيل: ٥٣/٦.

التعبير في النفي أأكد تعبير، لأنَّه نفي الشأن، ويتضمن نفي جميع الأعذار والتقييد باستثناء المشيئة للمبالغة في تقريره»[1].

٢- القصر بـــ(إنّما):

إنَّ القول بإفادة (إنَّما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللغويين والنحاة والبلاغيين، ومعنى (إنَّما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»[2]. وهي تستعمل في الأمور المعلومة التي لا تنكر ولا تدفع[3].

وذكر رشيد دلالة (إنَّما) على الحصر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: من الآية ٤٥]، حيث قال: «ثم قرر نفي الاستئذان عن المؤمنين بإثباته للمنافقين. على طريقة حصر الوصف فيهم تقريعاً لهم وتشنيعاً عليهم»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وهو الله»[5].

٣- القصر بالعطف:

وحروف العطف التي يؤدى بها أسلوب القصر ثلاثة هي (لا) و(بل) و(لكن).

- لا: وهي نافية، كقولك: (أقدَّر زيداً لا خالداً) والمقصور عليه في عبارتها هو اللفظ المقابل لما بعدها وهو (زيداً) الذي يقابل (خالداً)، فتكون

---

(١) المصدر نفسه: ٣٨/٤.

(٢) لسان العرب، مادة (أنن).

(٣) ينظر: علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣٢١.

(٤) أولى ما قيل: ١٤٣/٤-١٤٤.

(٥) المصدر نفسه: ١٣٤/٥.

قد قصرت تقديرك على زيد.

و لم أجد عند رشيد شواهد تطبيقية عليه.

– بل: وهي من الحروف العوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نصَّ على ذلك الرماني[1]، ويكون المقصور عليه بعدها.

و لم أجد عند رشيد شواهد لقصر (بل).

–لكن: وهي للاستدراك تؤدي أسلوب القصر إذا سبقها نفي أو نهي ويليها مفرد، ويشترط بعضهم[2] للقصر بـــ (لكن) فضلاً عن ما ذكر ألا تقترن بالواو، وهذا ليس بشيء؛ لأنَّا نراها في الأساليب الجيدة والتراكيب الممتازة إذا اقترنت بالواو وأفادت القصر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فقد قصر النبي «عليه الصلاة والسلام» على الرسالة والختم لا يتجاوزهما إلى أبوة زيد، قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً ولكن مقرونة بالواو[3].

و لم أجد عند رشيد شواهد لقصر (لكن):

٤– القصر بتقديم ما حقه التأخير:

وهو من مباحث اللغة الجليلة، وهو لون بلاغي مهم تحدث به كبار العربية من نحويين وبلاغيين بدءاً من سيبويه ثم تحدَّثَ السكاكي وأفصح عنه وللأغراض التي يخرج إليها كالعناية والاهتمام[4]. ويأتي الجرجاني ليضع باباً

(١) ينظر: معاني الحروف، ص٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨–٩٩.

(٢) ينظر: النحو الوافي: ٦١٧/٣.

(٣) علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣٠٨.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣.

خاصاً به وقال عنه كثير الفوائد، جَمَّ المحاسن... بعيد الغاية، وهذا كله ناتج عن تحوّل اللفظ من مكان إلى مكان.

وحكم المقصور عليه في التقديم والتأخير هو المقدَّم.

ومن طرق القصر بالتقديم والتأخير عند رشيد ما جاء في القصر بتقديم المفعول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، قال رشيد: «قال: «فإياي فارهبون» ليكون حضاً على التوحيد، وترهيباً من الشرك وما ينبعث عنه: والالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة. ولذلك أيضاً قدم المفعول»[1].

ومن صور التقديم التي تناولها رشيد تقديم الجار والمجرور كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال رشيد: «وقدم الجار والمجرور لإفادة القصر»[2].

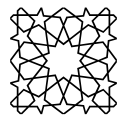

(١) أولى ما قيل: ٥/١٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢٠٤.

المبحث السادس

الإيجاز والإطناب

❑ أولاً: الإيجاز:

الإيجاز لغةً: وَجزُ الكلام وجازَةً ووجزاً وأوجز: قلَّ في بلاغة، وأوجزه اختصره. ويقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر[1].

الإيجاز اصطلاحاً: بحسب تعريف الرماني: «البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ»[2].

وقد اهتم العلماء بأسلوب الإيجاز كثيراً، وعدوه من أهم أساليب اللغة، إذ نقل الجاحظ قول صحار بن عياش العبدي[3]، عندما سأله معاوية بن أبي سفيان: «ما تعدّون البلاغة فيكم؟». قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ[4]. ونقل عن أبي عبيدة ما قاله في الإيجاز بقوله: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنَّه في تمام القول»[5].

ويُعدّ الرمّاني المتوفى ٣٨٦هـ أول من تحدث عن الإيجاز حديثاً بلاغياً

---

(١) لسان العرب، مادة (وجز)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٤٤/١.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٤.

(٣) هو صحار بن عياش بن شراحيل العبدي (ت٤٠هـ) صحابي خطيب. (ينظر: الأعلام: ٢٠١/٣).

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ٩٦/١، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٤٤/١.

(٥) مجاز القرآن: ١١١/١.

في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وهو الذي قسمه عن فرعيه المعروفين إيجاز القصر وإيجاز الحذف[1].

١- إيجاز القصر:

هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، وكان الجاحظ قد أشار إليه وهو «الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه»[2]، وأمثلة الإيجاز كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ [الكهف: من الآية ٩٦]، قال رشيد الخطيب: «وهذا تصوير لجهد العمال واستعمال الآلات في مجموع هذا العمل وصهر قطع الحديد. وهذا التصوير مجمل على طريقة إيجاز القرآن في البيان. فلا يستلزم أن ذلك كله جملة واحدة، فيحتمل أنه تدريجياً، كلما يفرغ من قطعة أو عدة قطع، تصهر ويفرغ عليها القطر. ويحتمل أن القطع نضدت كلها أولاً، ثم صهرت جملة وأفرغ عليها القطر على ظاهر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: من الآية ٩٦] أي: نحاساً مذاباً، ولكن غالب الظن أنَّه تصوير لمجموع العمل، على طريقة إيجاز القرآن»[3].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦]، قال رشيد الخطيب:

---

(١) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٥٦.

(٢) البيان والتبيين: ١٦/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٦١/١.

(٣) أولى ما قيل: ٣٢/٦.

«وفي الآية إيجاز بليغ والتقدير وقال أرزق من آمن ومن كفر، ولكن أمتع به الكافر قليلاً وفي الدنيا ثم اضطره الحد عذاب النار في الآخرة»[1].

وقال الزمخشري: «قلت في (قال) ضمير إبراهيم أي: قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق»[2].

وقال البقاعي: «أي: أنيلهُ أيضاً ما ألهمتك من الدعاء بالأمن والرزق»[3].

ولم يذكر أحد من المفسرين أنَّ في الآية إيجاز فقد انفرد رشيد الخطيب بهذا الرأي.

٢- إيجاز الحذف:

وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف، أو هو كما قال ابن الأثير: «ما يحذف منه المفرد لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه»[4].

□ حذف الفاعل:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، قال رشيد الخطيب: «ومن البلاغة العالية حذف الفاعل في المعادل الأول وبناءِ الفعل للمجهول، فقال (أشرٌّ أُريد)، وذكره في الثاني فقال أم أراد بهم ربهم رشداً، وذلك لتنسب إرادة الخير إلى

---

(١) أولى ما قيل: ١٩٤/١، وينظر أمثلة أخرى في تفسيره: ٦١/٤، و٢٦/٥، و٣٢/٥-٣٣.

(٢) الكشاف: ٢٤٠/١، والبحر المحيط: ٥٥٥/١.

(٣) نظم الدرر: ٢٤٠/١.

(٤) المثل السائر: ٨٧/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٤٩/١.

الله دون الشر»[1].

وقال ابن عاشور: «وأسند فعل إرادة الشر إلى المجهول و لم يسند إلى الله تعالى مع إن مقابلة أسند إليه بقوله: «أم أراد بهم ربهم رشداً» جرياً على واجب الأدب مع الله في تحاشي إسناد الشر إليه»[2].

□ حذف المفعول:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: من الآية ٤٣]، قال رشيد الخطيب: «والمفعول محذوف والتقدير: وينزل برداً من السماء من جبال فيها كائنة من برد... الخ»[3].

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين، قال البيضاوي: «ويجوز أن تكون (من) الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول»[4]، وهذا ما قاله الرازي والشوكاني والشربيني وغيرهم[5].

ومن حذف المفعول ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، قال رشيد الخطيب: «وما أبلغ حذف مفعول آتنا في هذا المقام فهو من رقائق الإيجاز التي تحتار فيها الأفهام وتعجز عنها قرائح الأنام»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١٠٣/٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١٥/٢٩.

(٣) أولى ما قيل: ١٩١/٦.

(٤) أنوار التنزيل: ١٩٤/٤.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٤٩٧/٢، وفتح القدير: ٦٠/٤، والسراج المنير: ٤٩٧/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٠٢/٥.

(٦) أولى ما قيل: ١٨٨/١.

وذكر النيسابوري أنَّ في الآية إضماراً؛ إذ قال: «يصح أن يقال أنَّ في الآية إضماراً أي يقول: ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، لأنَّ همَّته مقصورة على الدنيا»[1].

ولم يذكر أغلب المفسرين ما قاله رشيد في الآية الكريمة.

❑ حذف جواب الشرط:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: من الآية ٤]، قال رشيد: «وجواب الشرط محذوف على نهج إيجاز القرآن، لأنَّه يفهم من السياق والمقابلة. والتقدير: يكن خيراً لكما»[2].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين قال الرازي: «وجواب الشرط محذوف للعلم به على تقدير: كان خيراً لكما»[3]، وهذا ما ذكره القرطبي والآلوسي وغيرهم[4].

ومثله أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ١١، ١٢، ١٣]، قال رشيد الخطيب: «وجواب كل من الشرطين محذوف على طريقة إيجاز القرآن أقام مقامه قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] أي: أجهل أن الله مطلع على أمره فإن كان

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٦٨/١.

(٢) أولى ما قيل: ٦٢/٩-٦٣.

(٣) التفسير الكبير: ٤٠/٣٠.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٨/١٨، وروح المعاني: ١٥٢/٢٨، والسراج المنير: ٢٣٦/٤، وتفسير الجلالين: ٧٥٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٩٧/١٩، والبحر المديد: ١٢٠/٨.

على الهدى أحسن جزاءَه، وإن كذب وتولى لم يفلت من عقوبته»[1].

وهذا ما ذكره البيضاوي قائلاً: «وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى: أخبرني عمَّن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أو آمراً»[2] وتبعه النسفي والآلوسي وابن عاشور[3].

ومن حذف جواب (لو) ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا﴾ [الأنعام: من الآية ٢٧]، قال رشيد الخطيب: «وجواب لو محذوف للمبالغة في التهويل، والتقدير: لرأيت هؤلاء عظيماً ولرأيتهم في أشد الجزع»[4].

وقال ابن عطية: «وجواب «لو» محذوف تقديره في آخر الآية: لرأيت هولاً أو مشقات أو نحو ذلك، وإنَّما حذف جوابها في مثل هذا أبلغ؛ لأنَّ المخاطب يترك مع غاية تخيله»[5] وتبعه ابن جزي[6].

وذكر الرازي أن جواب (لو) محذوف تفخيماً للأمر وتعظيماً للشأن[7].

---

(١) أولى ما قيل: ٢٢٩/٩.

(٢) أنوار التنزيل: ٥١١/٥.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ٣٤٩/٤، وروح المعاني: ١٨٣/٣٠، والتحرير والتنوير: ٣٩٥/٣٠.

(٤) أولى ما قيل: ٨١٨/٣.

(٥) المحرر الوجيز: ٣٣٠/٢.

(٦) ينظر: التسهيل: ٣٥٣/١.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٧/١٢.

ولم يذكر الزمخشري والقرطبي وأبو حيان والبيضاوي[1] وغيرهم غرض حذف جواب (لو).

❑ حذف المقسم عليه:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١-٣]، قال رشيد: «أما المقسم عليه فمحذوف دل عليه ما ذكره بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٤-٧] كأنه قال: أقسم بهذا الكون العظيم وبذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين»[2].

وذكر الزمخشري أن جواب القسم محذوف قائلاً: «فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: «قتل أصحاب الأخدود»»[3] وتبعه النيسابوري[4].

وقد يحذف جواب القسم للإيجاز أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، قال رشيد الخطيب: «جواب القسم محذوف على نهج القرآن في أنواع الإيجاز، وتقديره كما يفهم بعده: ليس الأمر كما تقولون، وأن الحشر والحساب لاتٍ ومتحقق»[5].

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٦/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٢، والبحر المحيط: ١٠٩/٤، وأنوار التنزيل: ٤٠١/٢، والجواهر الحسان: ٥١٢/١، وفتح القدير: ١٥٧/٢.

(٢) أولى ما قيل: ١٨٧/٩.

(٣) الكشاف: ٧٣٠/٤.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٧٣/٦.

(٥) أولى ما قيل: ٥٥/٧.

وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء من المفسرين[1].

□ ثانياً: الإطناب:

الإطناب لغةً: جاء في اللسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»[2].

الإطناب اصطلاحاً: عرَّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المُتعارفة، وأن يخبر المطلوبَ بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأنَّ كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة، فإنَّ كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المُراد»[3].

والإطناب من أقدم الفنون التي تحدث القدماء عنها، ويُعدُّ أبو عبيدة والجاحظ وابن قتيبة من أوائل العلماء الذين أشاروا إليه في مصنفاتهم[4].

وأدخله السكاكي في مباحث علم المعاني، وقال: «هو أداؤه -الكلام- بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»[5].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٦١/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢١٣/٣، ومعالم التنزيل: ٦٧/٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٤/١٥، والتسهيل: ٤٣٨/٢، ولباب التأويل: ٤٠/٦، وزاد المسير: ٩٧/٧، وفتح القدير: ٥٩٥/٤، وأيسر التفاسير: ٤٣٧/٤.

(٢) لسان العرب، مادة (طنب).

(٣) التعريفات، ص٢٥.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١٢/١، والحيوان: ٧/٦، والبيان والتبيين: ١٠٥/١، وتأويل مشكل القرآن، ص١٨٠-١٨٢.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٣٣، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٤/١.

وثمة أسباب تدفع المتكلم إلى سلوك الإطناب في كلامه منها تثبيت المعنى في نفس السامع أو المخاطب، ومنها توضيح المراد، ومنها التوكيد ودفع الإيهام ومنها غير ذلك، وهي على أنواع:

١- **الإيضاح بعد الإبهام:** ويؤتى به ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس أكثر فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته مفصلاً[١]، وقد عرَّف رشيد الخطيب هذا النوع من الإطناب بقوله: «إيراد للمعنى في صورتين مختلفتين»[٢].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، قال رشيد الخطيب: «﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ ضمن قضينا معنى أوصينا أي: أوحينا إليه أن قضينا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ المفسر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: أوحينا إليه أنَّه لا يصبح الصباح إلا وقد استأصلهم العذاب... والتعبير عن العذاب بالأمر، والإشارة إليه بذلك، وتأخيره عن الجار والمجرور، وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على هول ذلك العذاب وفظاعته ما لا يخفى»[٣].

قال الرازي: «... ثم إنَّه فسر بعد ذلك القضاء المبتوت بقوله: «إنَّ دابر هؤلاء مقطوع» وفي إبهامه أولاً وتفسيره ثانياً تفخيم للأمر وتعظيم له»[٤]، وهذا ما ذكره الزمخشري وابن عاشور[٥].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٨/١.

(٢) أولى ما قيل، ص١٧٩ من المقدمة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤/٥.

(٤) التفسير الكبير: ١٥٩/١٩.

(٥) ينظر: الكشاف: ٥٤٥/٢، والتحرير والتنوير: ٥٢/١٣.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، قال رشيد الخطيب: «ذكر الفعل وأراد مقاربته أو إرادته أو الحكم به... أي: أردنا إهلاكها أو حكمنا به عليها لإعراضها عما جاءها من رسول وكتاب. ويجوز أن يراد بالفعل نفس الإهلاك: أجمله ثم فصّله بقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ أي: وقت القيلولة»[(١)].

قال البقاعي: «سبب قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا بما لنا من القوة والعظمة، أو الإهلاك على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير»[(٢)]، وهذا ما قاله الرازي[(٣)].

٢- ذكر الخاص بعد العام:

ويؤتى به للتنبيه على فضله حتى كأنَّه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[(٤)]، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: من الآية ٤٩]، قال رشيد الخطيب: «ولإرادة الوصفية غلَّب غير العقلاء، بحكم الكثرة، وأتى بكلمة ما. ثم عطف الملائكة عليها عطف الخاص على العام، للاهتمام بالخاص»[(٥)].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) أولى ما قيل: ٦/٤.

(٢) نظم الدرر: ٧/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/١٤.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٤٠/١.

(٥) أولى ما قيل: ١٣٣/٥.

٣- ذكر العام بعد الخاص:

وهو لإرادة العموم[١]، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٥]، قال رشيد الخطيب: «فذكر العام بعد الخاص؛ لأنَّ السماء اسم لما علا من هذا الكون الذي فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب، تجري في مجاريها وتتحرك في مداراتها، وكل كوكب بمنزلة لبنة من بناء سقف محكم متقن شدَّ بعضه إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به. وإنَّما أوثرت كلمة ما على من لإرادة معنى الوصفية»[٢].

لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

٤- التكرار:

وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، وقد اهتم رشيد الخطيب بهذا الأسلوب فقد تحدث عنه في مقدمة تفسيره، وعرض له في ثنايا التفسير، ضمن خصائص أساليب القرآن التعاقب على الغرض الواحد بألوان من الأساليب والتراكيب والتعابير، لأنَّ الأدلة إذا تضافرت على مطلوب واحد كان لها وقع عظيم في النفوس، وهو يسمي هذا الأسلوب: التكرار مع تنوع الأساليب والتفنن في التراكيب[٣].

---

(١) البلاغة من منابعها، ص١٦٣.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥/٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠، ٢٦-٢٧، ١٠٣ من المقدمة، ٨١/١، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٢٥.

وأغراض التكرار كثيرة، ومما ورد في تفسير (أولى ما قيل) هي:

التكرار للتأكيد: نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، قال رشيد الخطيب في بيان غرض التكرار: «أعاد الخبر للتأكيد فقال: «ثم كلا سوف تعلمون» وأتى بثم ليفيد أنَّه خبر جديد، جيء به بعد الخبر الأول»[(١)]. وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء[(٢)]، قال أبو حيان: «والجمهور على إنَّ التكرار توكيد، قال الزمخشري، والتكرير تأكيد للردع والإنذار؛ وثم دلالة على إنَّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطاب فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى»[(٣)].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، قال رشيد: «وهيهات بمعنى بعد، واللام للتقوية، وهذا التكرار لتأكيد البعد الذي قرروه بقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون :٣٧]»[(٤)].

وهذا ما ذكره الشوكاني قائلاً: «أي: بعد ما توعدون أو بعيد ما توعدون والتكرير للتأكيد»[(٥)]. ولم ينص الرازي على التكرار وذكر الغرض فقط بقوله:

---

(١) أولى ما قيل: ٢٤٤/٩.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩٥/٩، والمحرر الوجيز: ٤٨٩/٥، وأنوار التنزيل: ٥٢٤/٥، والجواهر الحسان: ٤٣٩/٤.

(٣) البحر المحيط: ٥٠٦/٨، وينظر: الكشاف: ٧٩٧/٤.

(٤) أولى ما قيل: ١٥٣/٦-١٥٤.

(٥) فتح القدير: ٦٩٢/٣، وينظر: ياقوتة الصراط، محمد بن عبد الواحد البغدادي: ٣٧٣/١.

«ثم أكدوا الشبهة بقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا»[1].

❑ التكرار للتقرير:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٧]، قال رشيد الخطيب: «التكرار لهذه الآية في هذه السورة إنَّما هو لتقرير النعم، وتأكيد التذكير بها، يعيدها عند بيان كل نوع من أنواعها إيجاباً وسلباً»[2].

وذهب كل من ابن عطية والرازي إلى أنَّ التكرير للتأكيد[3].

التكرار للتهويل:

نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]، قال رشيد الخطيب: «والتكرير للزيادة في التهويل»[4].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري قائلاً: «والتكرير لزيادة التهويل»[5]، وتبعه ابن عاشور[6]. وذكر الرازي أن التكرير للتعظيم[7].

❑ التكرار للعناية:

ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

---

(١) التفسير الكبير: ٨٦/٢٣.

(٢) أولى ما قيل: ١٨٣/٨، وينظر: ٢٣٧/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥، والتفسير الكبير: ٨٤/٢٩.

(٤) أولى ما قيل: ١٦٦/٩، وينظر: ص١٥٣ من المقدمة.

(٥) الكشاف: ٧١٧/٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٣/٣.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٧٨/٣١.

قال رشيد الخطيب: «فقد بين أنَّه كرر اسم الإشارة (أولئك) لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم»[1]. و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الغرض.

❑ التكرار للمبالغة:

ومثله قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، قال رشيد الخطيب: «ثم ختم المحاجة بتكرير الجملة السابقة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، لأنَّ ما قبلها مماثل لما قبل سابقتها، فهي للمبالغة في زجرهم عما هم عليه من الافتخار بالآباء، والادعاء بأنَّهم على ملتهم وسالكون مسلكهم»[2].

وهذا ما ذكره أبو السعود قائلاً: «تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم»[3]، وهذا ما ذكره البيضاوي والشربيني والآلوسي[4].

وذهب القرطبي والنسفي إلى معنى التأكيد[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩-٢٠]، قال رشيد: «وقد كرر الجملة للمبالغة في ذلك فقال: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ والمقصود من كلمة ثم المبالغة في الدعاء عليه في الكرة الثانية»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ١١٧/١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٧٠/١.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤١٥/١، والسراج المنير: ٨٨/١، وروح المعاني: ٤٠١/١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/٢، ومدارك التنزيل: ٧٤/١.

(٦) أولى ما قيل: ١١٧/٩.

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان قائلاً: «وجاء التكرار بثم ليدل على إن الثانية أبلغ من الأولى للتراخي الذي بينهما»[1]. في حين ذكر ابن جزي إلى معنى التأكيد قائلاً: «دعاء عليهم وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله»[2]، وهذا ما ذكره ابن عطية[3].

وكما يتكرر الاسم يتكرر الحرف، فيكون له غرضه البلاغي، ومنه قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٦-١٧]، قال رشيد: تكرير الهمزة للمبالغة والتشديد[4].

وهذا ما ذكره البيضاوي قائلاً: «وكرر الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعاراً بأنَّ البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة فهو أشد استنكاراً فهو أبلغ»[5].

٥- التذييل:

التذييل في اللغة: الذيل: آخر كل شيء، وذيَّل ثوبه تذييلاً أي: طوَّله[6].

وهي **بلاغياً:** أن يذيل الناظم أو الناثر كلاماً بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق»[7].

---

(١) البحر المحيط: ٣٦٦/٨.
(٢) التسهيل: ٢٥١/٣.
(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٦٥/٥.
(٤) ينظر: أولى ما قيل: ١٧٣/٧.
(٥) أنوار التنزيل: ٨/٥.
(٦) اللسان، مادة (ذيل)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٢٢/٢.
(٧) خزانة الأدب، ص١١٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٢٢/٢.

وقد تناول رشيد الخطيب التذييل في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

قال رشيد في بيان فائدة التذييل: «وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تذييل على وجه التعليل لما قبله، وبيان لمنَّة الله العظيمة وإعلان لبابه المفتوح لكل من يريد الوصول والدخول»(١).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال رشيد: «ثم ذيل الكلام بما زاد في التمنن، بعبارة تشملهم وغيرهم على نهج القرآن في مثل ذلك فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»(٢).

وقال ابن عاشور: «تذييل لبيان أن فضل الله يعطيه من يشاء»(٣).

ويذكر رشيد أيضاً أنَّ من فائدة التذييل التهديد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ [البقرة: من الآية ٩٥]، قال رشيد: «ثم قرر مضمون هذا التسجيل بتذييل متضمن للتهديد فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٩٥] أي: في أمورهم التي من جملتها ادعاء ما

(١) أولى ما قيل: ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢/٢٩٥.

ليس لهم، ونفيه عن غيرهم»[1].

وقال أبو السعود: «والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي: عليم بهم»[2]. فهو يذكر غرض التقرير للتذييل. واكتفى الزمخشري والواحدي وأبو حيان[3] بذكر معنى التهديد فقط. في حين ذكر ابن عطية والبيضاوي[4] معنى الوعيد فقط دون التذييل.

ومن التذييل ما يأتي عنده للزيادة كما في قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾ [النور: ٣٨]، قال رشيد: «لأنَّ الأمر كله بيده، وليس فوقه أحد يحاسبه. أو المعنى أنه يرزق ويعطي من يشاء بغير تضييق ولا تقتير. وعلى كل فهو تذييل مقرر للزيادة والكرامة التي يعطيها سبحانه للمهتدين في الآخرة فوق استحقاقهم»[5].

وذكر رشيد هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[6].

٦- التتميم:

جاء في لسان العرب: تمَّ الشيء يتم تَمًّا وتُمًّا وتَمامةً وتَماماً وتِمامة وتُماماً وتِماماً وتُمَّة، وأتمَّه غيره وتممه واستتمه بمعنى، وتمَّمه الله تتميماً وتتمةً، وتمام الشيء وتِمامته وتتمته: ما تمَّ به[7].

---

(١) أولى ما قيل: ص١٦٥.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/١٣٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/١٩٣، والوجيز: ١/١١٩، والبحر المحيط: ٢/٢٦٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/١٦٤، وأنوار التنزيل: ١/٥٤٣.

(٥) أولى ما قيل: ٦/١٨٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤/٥، و٥/٧١.

(٧) لسان العرب، مادة (تمم)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٧.

وقد تكلم علماء البلاغة عنه فقال القزويني: «هو أن يؤتى في كلام لا وهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة»[1].

وقد ذكر رشيد هذا النوع من الإطناب في تفسيره فقال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٩]، : «وفي قوله على الكبر، تتميم أفاد المبالغة في تقدير النعمة واستعظام المنة»[2].

لم أجد من المفسرين ذكر هذا المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٦]، قال رشيد: «فإنه تعالى استقصى أوصاف الجنة الممتازة، ليعظم مصاب صاحبها: استقصاها بقوله: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾. ثم تمم الوصف بقوله: «تجري من تحتها الأنهار، ثم أكمله بقوله: ﴿فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فأتى بكل ما يكون في الجنان الفائقة الممتازة ليشتد الأسف على إفسادها...»[3].

٧- الاعتراض:

الاعتراض لغةً: يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه، واعترض فلان الشيء: تكلفه، واعترض عرضه: نحا نحوه، واعترض له بسهم:

---

(١) الإيضاح، ص١٩٤، التلخيص، ص٢٣٠.

(٢) أولى ما قيل: ٩٦/٥.

(٣) أولى ما قيل ، ص١٧٧ من المقدمة.

أقبل قبله فرماه فقتله»[1].

واصطلاحاً: هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب لنكتة»[2].

وتحدث عنه ابن جني قائلاً: «والاعتراض في كلام العرب كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً»[3].

ويأتي الاعتراض لأغراض متعددة.

وقد ذكر مفسرنا رشيد الخطيب هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره، ومنها مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، قال رشيد: «وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ ...﴾ اعتراض قصد به المبالغة في تعظيم مضمون الجملة القسمية، وقوله: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ اعتراض في الاعتراض، قصد به الزيادة في التعظيم. أي: أنَّه ليس من الممكن أن تطلعوا عليه اطلاعاً تاماً تفصيلياً لعظم محتوياته»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، قال رشيد: «فهو من الجدل بالَّتي هي

---

(١) اللسان: مادة (عرض)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٤٣.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٢٧.

(٣) الخصائص: ١/٣٣٥.

(٤) أولى ما قيل: ٨/٢٠٠.

أحسن... وقد جاءت معترضة في قصة نوح والاعتراض بالجمل أثناء القصص والمواعظ وغيرهما معهود في القرآن. ومن ذلك الاعتراض بالوصية بالوالدين أثناء موعظة لقمان لابنه. وكذلك قوله تعالى في سورة طه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: من الآية ٥٥]. فقد جاء معترضاً في المحاورة بين موسى عليه السلام وفرعون»[1].

وبعد ذلك يذكر رشيد فوائد الاعتراض ناقلاً من صاحب المنار ما قوله: «وللجمل والآيات المعترضة في القرآن حكم وفوائد يقتضيها تلوين الخطاب، ومنها: تنبيه الأذهان وتجديد النشاط في الانتقال من موضوع إلى آخر، والتشويق إلى سماع بقية الكلام الأول، بقطعه والانتقال إلى موضوع آخر، ثم العودة إلى إتمامه».

٨- وضع الظاهر موضع المضمر والعكس:

ومن سنن القرآن التي ذكرها رشيد ذكر المظهر في موضع المضمر والعكس قائلاً ما نصه: «ومن سننه، أي: القرآن الكريم - أن يذكر المظهر في موضع المضمر، إيذاناً بالتعليل بالوصف الذي يدل عليه المظهر، وبياناً لموجب الحكم وتقريراً لحكم عام يدخل فيه مدلول ذلك المضمر وغيره، وتسجيلاً بالوصف على أولئك الموصوفين به إلى أمثال ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، ولم يقل ولهم عذاب مهين»[2].

---

(١) ينظر: أولى ما قيل: ٤/٢٣٦-٢٣٧، وينظر: تفسير المنار.

(٢) أولى ما قيل، ص٤٢ من المقدمة، وص١٢٩.

ويذكر رشيد الغرض البلاغي لهذا الأسلوب قائلاً في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: «وقد يكون الإظهار لتربية المهابة في أذن السامع ويكون ذلك بذكر لفظ الجلالة في موضع ضميره»(١). فأظهر لفظ الجلالة في آخر الآية بدل الضمير الذي يعود عليه في لفظه الأول الذي تقدم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، قال رشيد: «وأقام المظهر مقام المضمر للإيماء بالمد والعلّة»(٢).

وذكر رشيد هذا الأسلوب في مواضع متعددة في تفسيره(٣).

ومن مقاصد وضع المضمر موضع المظهر مما قاله رشيد: «أن يعود الضمير على ما يدركه الذهن وإن لم يتقدم له معنى، أو على ما يفهم من السياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥]، أي: على ظهر الأرض؛ إذ لا يجهل الذهن أنَّها المراد، وكقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ [البينة: من الآية ٦]، أي: في جهنم»(٤).

---

(١) المصدر نفسه: ٢٧٣/١، ص٤٢ من المقدمة.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤/٤.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: ٥٤/٤، ١٢٩/٤.

(٤) أولى ما قيل، ص٤١ من المقدمة. وانظر في الصفحة نفسها أمثلة أخرى ذكرها رشيد في هذا الصدد.

٩- استعمال الأفعال:

وللشيخ رشيد لفتات بلاغية رائعة عند استعمال الأفعال، يوقفنا فيها على ما تحتويه من أسرار.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، قال رشيد: «وذلك من بلاغة القرآن العالية، وذكره في الثاني فقال: «أم أراد بهم ربهم رشداً» وذلك لتنسب إرادة الخير إلى الله دون الشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، حيث نُسب المرض لنفسه ونُسب الشفاء لله، لأنَّ الشر سواءٌ كان مرضاً أو غيره إنَّما يكون بصنع الإنسان وانحرافه عن قوانين الطبيعة»[(١)]. فكان هنا استعمال صيغة البناء للمجهول في موضع دون آخر.

ومنه أيضاً استعمال المضارع دون الماضي لإفادة الاستمرار في الحدث وتجدده آناً بعد آن، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: من الآية ٢٨] فقال مُبيناً أنَّ: «العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده كلما تجددت الذكريات»[(٢)].

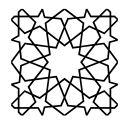

(١) أولى ما قيل: ٩/١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٧١.